الأهرام
١٩٩٤/١/٤

أمـــانة حضـــارية

منى حلمى

يوم الخميس الماضى كانت ذكرى ميلاد أم كلثوم...

قمة فنية شامخة، أسعدتنا سنوات، وأبخلت على وجودنا الرتيب، ايقاعا جديدا للشدو، والزهو، وعشق الحياة. نحن مجتمعات تتذكر الموت ، وتحتفى بالرحيل، أكثر من تذكرها للميلاد، واحتفائها بالحياة. كل عام، نتذكر تاريخ رحيل أم كلثوم، فى فبراير، ولا أحد يتذكر تاريخ الميلاد. مع أن المنطق، يقتضى أنه اذا كان لابد من الاحتفاء، فليكن بالميلاد الذى يمنح الحياة، ويؤرخ لبدايات تشكلها وانطلاقها. لا بالموت، الذى يضع حداً للوجود، ويكون سلبا للعطاء.

وام كلثوم، - بكل المقاييس - ظاهرة استثنائية فى تاريخنا الفنى. وهذا ما يدعونا، إلى أن يكون احتفاؤنا بها، استثناء أيضا، فى توقيت الاحتفاء، وفى اسلوب التعبير عنه.

لماذا نحرص على تذكر أم كلثوم اليوم؟ وكيف يمكن أن نجعل لهذا التذكر، قيمة حقيقية، تدخل فى تفاعل مباشر، مع قضايا حياتنا المعاصرة؟

ان حرصنا على الاحتفاء بميلاد أم كلثوم، هو حرص على بقاء أمتنا الممتدة من المحيط إلى الخليج، فى حالة عناق حميم، مع جذورها التى صنعتها في الماضى، وفيها تكمن بذور الانطلاق والتقدم.

إن تذكر أم كلثوم اليوم، هو فى صالحنا نحن. فأم كلثوم، ستظل - سواء احتفينا بها أم لا - باقية فى التاريخ، وفى الوجدان. سوف يظل صوتها - قلما يجود به الزمان - ممتزجا بمقامات موسيقانا العربية. سوف تبقى أم كلثوم - احتفينا بها أو لم نفعل - روحا حولنا، تؤنس كل تذوق ممكن، يعتصر أنبل ما فى الحياة، فى وصلة طرب.

القلق ليس على أم كلثوم ، القلق علينا نحن. مشكلتنا تكمن فى أن علاقتنا بالفن، علاقة هامشية، ترفيهية، لا تدخل إلى عمق حياتنا،ولا تتخلل عاداتنا، وتقاليدنا فى الوجود. مشكلتنا، أن الاحتفاء بالفن، يتوقف عند شكليات نكررها كل عام.

نريد اليوم احتفاء بأم كلثوم، يتجاوز كلمات الوفاء التقليدية، ويتجاوز زيادة المساحة المسموعة من أغنياتها، ويتعدى الحديث عن جوانب فى شخصيتها، أو كشف أسرار من حياتها الخاصة.

إن أكبر احتفاء بـ أم كلثوم، هو أن نبدأ فى تغيير علاقتنا بالموسيقى والغناء، ومن ثم، تغيير علاقتنا بالفن بشكل عام

إن تفرد أم كلثوم، لا يرجع فقط إلى صوتها النادر، أو قدرته على الامتداد عبر الأجيال، أو التقائه مع عبقرية الكلمة والتلحين، أو تعبيرها عن عشق الحبيب، بالشموخ نفسه، كتعبيرها عن عشق الوطن.

لكنه يرجع - قبل أى شىء - إلى علاقتها الحميمة بالفن. الغناء عند أم كلثوم، كان قضية وجود وحياة. وكان رؤية للعالم، كانت علاقة أم كلثوم بالموسيقى، علاقة شاملة لأحداث حياتها الخاصة، وأحداث وطنها. لم يكن «الطرب»، مجرد سمة تميز أداءها فى حفلتها التاريخية، الخميس الأول من كل شهر، ولكنه كان المعين الذى لا ينضب، منه تستمد أم كلثوم، قيم وأخلاقيات العيش، ومنه أيضا، تستلهم التناغم المتجدد بين طموح ذاتها، وطموح مجتمعها. كان «الطرب»، وهو سلاح أم كلثوم للقيام بثورة - لا تقدر عليها أقوى النظريات والتنظيمات - ألا وهى، الارتقاء بالحس، وتهذيب الوجدان.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام
١٩٩٤/١/٤

هكذا تعطينا أم كلثوم مثالا فريداً، يؤكد أن الموهبة الفنية، لا تكفي وحدها، لتحقيق التميز أو التفرد. المهم، هو الإنسانة التي وراء الفن، والعبرة بالشخصية التي وراء الموهبة.

الفن بدون فلسفة لتغيير الذات، وتغيير العالم، يصبح دربا من الاستهلاك الساذج للموهبة، الذي يحولها إلى وظيفة نائيا بها عن دورها الحقيقي، في أن تكون خلقا مبدعا، يفتح لنهر الحياة المتدفق، مجرى جديداً.

إن أكبر احتفاء بأم كلثوم، هو أن نقف أفراداً وشعباً، ضد محاولات افساد ذوقنا الغنائي، والموسيقي، بل وذوقنا الحضاري أيضا. محاولات مستترة في شكل أصوات وايقاعات، لاتفعل شيئا، سوى أنها تهين تراثنا الموسيقي بالاصرار على الانتماء إليه.

ويجب ألا نستهين بهذا الأمر. فالفن الأصيل، هو العنوان الحقيقي لرقي الشعوب، ومصدر مناعة قوية، ضد أية انتكاسة ثقافية، أو ارتباك حضاري. وإذا كنا نتحدث عن الغناء بالتحديد، فليست مبالغة، حين نقول، أن الأغنية - بحكم طبيعتها وشكلها - أكثر الفنون تعبيراً عن حال مجتمعها، وعلى التأثير في وجدان، وعقل الناس.

إن أجمل باقة ورد يمكن أن نقدمها لأم كلثوم، هي أن يكون البحث عن المواهب الأصلية الواعدة، جزءاً أساسيا من رؤيتنا الثقافية، وألا تتدخل اعتبارات غير فنية، لابراز أصوات على حساب أخرى.

ولأن أم كلثوم، كانت امرأة مبدعة، استطاعت أن تفرض موهبتها، وتأثيرها، في عالم الغلبة فيه للرجال. فإن الاحتفاء بها، يرتبط بضرورة تغيير نظرتنا إلى ابداع المرأة. فمازلنا، نهتم، ونفخر، بإبداع الرجال، أكثر من اهتمامنا وفخرنا بأبداعات النساء. ليس فقط في مجال الموسيقى والغناء ولكن في مختلف نواحي الحياة.

إن ظهور أم كلثوم على أرضنا، أكثر من اشادة، لكي نفهم الحكمة من ورائه.... أن تظل مسصر، أرض الفن الجميل ، حيث جماليات الموسيقى منارة تهدينا الى جماليات العيش، وحيث الغناء والحياة، في امتزاج حميم مقدس. هي أمانة حضارية واجبة علينا.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية